

# المثال المضروب في سورة النور لاستنارة قلوب المؤمنين

عبد الحي المدني

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم  
بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإنه مما لا شك فيه أن الله عزوجل قد أكثر في القرآن من ذكر أمثلة وفي هذا دلالة  
واضحة على أهمية كل مثال ورد في كلام الله تعالى وهذه الأهمية تكمن في الأغراض التي يحققها إيراد المثال  
حيث يبين المثل ويوضح طريق الهداية ومصدرها ويزيد من أثرها على من أرد الاهتداء ورغب فيه.  
إن المرأ يتعجب عندما يرى الآيات الكثيرة والأمثال المضروبة المتظافرة لتوضيح توحيد الله  
بالأساليب المختلفة المتفقة المعنى بحيث لا يترك لمنكر أو شاك أي شبهة مانعة عن قبول التوحيد والرجوع  
إلى الله تعالى، وقد ذكر في القرآن أمثلة كثيرة من أهمها - والله تعالى أعلم - المثال المضروب في سورة النور:  
فأردنا أن نكتب حول هذا المثال بحثا مفيدا وإليك التفصيل.

المبحث الأول: دلالة السياق الذي ورد فيه المثل:

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً  
لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِثْقَاتٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْيَصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ  
دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ  
يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَن تَرْفَعَ  
وَيَذَكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ سُبْحَانَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَا لُئْلُيمَهُمْ شِجْرَةٌ وَلَا يَبِيعُ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَارِ الْمَآلِ  
وَإِنَاءِ الزُّكُوفِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ  
وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١﴾.

لقد ورد هذا المثل العظيم في سياق بدأ بذكر العلم الذي أنزله الله إلى عباده، والذي تضمن: الآيات البينات، والأمثال المضروبة من أحوال الأمم السابقة، والمواعظ. وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ ءآيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾. وهذا العلم النازل هو الطريق الوحيد لهداية الناس. ثم بين سبحانه أنه هو الهادي لأهل السماوات والأرض، فكل خير ونور وبصيرة وهدى فهو منه وحده سبحانه؛ حيث قال: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. ثم ضرب سبحانه وتعالى مثلاً لنوره الذي يجعله في قلوب عباده المؤمنين جزاء تصديقهم وقبولهم لما نزل من البينات، وتعلمهم لها، وعملهم بها، مبيناً في المثل حقيقة النور ومادته التي تغذيه، وأثره في استنارة القلب وبصيرته، وذلك بقوله: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ...﴾ الآية. ثم ذكر سبحانه وتعالى شاهداً على ذلك النور في ذكر صفات بعض عباده المؤمنين الذين استنارت قلوبهم بذلك النور، فأكسبها البصيرة، وكشف لهم أحاسن الأعمال فلزموها، وأرادلها فتجافوا عنها. حيث قال: ﴿فِي نُورٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تَرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾.

المبحث الثاني: دراسة المثل:

وفيه عدة مطالب.

المطلب الأول: نوع المثل:

هذا المثل من الأمثال التشبيهية التي يتم إيضاح المراد بها عن طريق القياس التمثيلي. وبهذا المثل شبه أمر معقول هو: نور العلم والإيمان القائم في قلوب المؤمنين، بأمر محسوس هو: نور المصباح الذي في مشكاة، الوارد وصفه في المثل. والمشبه به والمشبه كلاهما عبارة عن هيئة مركبة. كما سيأتي بيان ذلك فيما يلي من المطالب.

المطلب الثاني: بيان صورة الممثل به:

لقد بينت صورة الممثل به في قوله تعالى: ﴿كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۚ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۚ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبْرَكَةٍ ۖ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۖ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَضَرِبَ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

وهذا المثل مكوّن من خمسة أجزاء رئيسية هي:

- ١- مشكاة. ٢- مصباح. ٣- زجاجة تحيط بالمصباح.
  - ٤- زيت يوقد منه المصباح. ٥- النور المنبعث من المصباح.
- وسأبيّن - فيما يلي - المراد بهذه الأجزاء.

أولاً: المشكاة:

ذكر المفسرون وأصحاب كتب المفردات ثلاثة معانٍ للمشكاة هي:

- ١- الكوة غير النافذة التي تكون في الجدار، يوضع فيها المصباح، وهي تجويف صغير في الجدار كالرف الصغير. ورجح الراجح في المفردات هذا المعنى للمشكاة ولم يذكر غيره حيث قال: "والمشكاة كوة غير نافذة"، قال: ﴿كَيْشْكُوكِرٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾، وذلك مثل القلب، والمصباح مثل نور الله فيه<sup>(٣)</sup>. وهذا المعنى أنسب من جهة التشبية ومطابقة المشبه به؛ حيث نص بعض السلف والمفسرين على أن المشكاة مثل للقلب أو الصدر<sup>(٤)</sup> فيكون تجويف القلب مشابهاً لتجويف المشكاة. والله أعلم.

ثانياً: المصباح:

- المصباح هو: السراج المضيء؛ قال الراجح: "ويقال للسراج مصباح"<sup>(٥)</sup>. وعلى هذا يسمى الجرم المضيء مصباحاً كالشمس. ولا يقال للضوء والشعاع مصباح، كما لا يقال للنجم المنور بلا إضاءة مصباح. وقد فرّق الله بين الأجرام المتوهجة المتقدمة المضيئة، وبين الأجرام المنورة بسبب انعكاس أشعة الضوء عليها في قوله: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾<sup>(٦)</sup>. وقوله: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾<sup>(٧)</sup>. والمصباح الذي شبه به نور الله في قلب المؤمن من النوع الأول الذي يتوهج ويتقد؛ لأن هذا هو حقيقة المصباح. قال ابن جرير: "... وصف المصباح بالتوقد؛ لأن التوقد والانتقاد لا شك أنهما من صفتة"<sup>(٨)</sup>.

٣- الراجح الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ص ٢٦٦.

٤- ابن جرير الطبري، جامع البيان، شركة مصطفى الباني، ط ٣، ١٣٨٨هـ، ج ٩، ص ٣٢٣.

٥- المفردات في غريب القرآن، ص ٣٧٣.

٦- سورة يونس، الآية: ٥.

٧- سورة نوح، الآية: ١٦.

٨- جامع البيان، ج ٩، ص ٣٢٦.

### ثالثاً: الزجاجية:

قال تعالى: ﴿الْمَصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾. "الزجاج حجر شفاف، الواحدة زجاجة" (٩). ويؤخذ من الزجاج معنى: الشفافية والحسن والصفاء. ويؤخذ من تشبيه الزجاجية بالكوكب الدرّي: معنى التألؤ. وذلك أنها شبهت بالكوكب المتألؤ الذي هو من زينة السماء الدنيا. كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّا زَيْنًا أَلْمَاءَ الدُّنْيَا بَرِينَةَ الْكُوكَبِ﴾ (١٠). ووصف الكوكب بأنه دري يدل على معنى الإضاءة؛ كما ورد عن أبي بن كعب رضي الله عنه أنه فسّر دري: بمضيء. وكذلك روي عن قتادة رحمه الله (١١).

### رابعاً: الزيت الذي يوقد به المصباح:

قال الله تعالى: ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ (١٢). قوله: ﴿زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ بين المفسرون أن هذا الوصف المعبر عنه بقوله: ﴿لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ المراد منه بيان جودة زيت الشجرة وصفائه واعتداله وإشراقه (١٣). واختلفوا في المراد بكونها ﴿لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ على قولين مشهورين:

الأول: أن المراد أنها ليست شرقية لا تصيبها الشمس إلا إذا أشرقت، وليست غربية لا تصيبها الشمس إلا إذا غربت، ولكنها شرقية غربية تصيبها الشمس إذا طلعت وإذا غربت النهار كله، وذلك كأن تكون في أرض فلاة لا يحجبها الشجر أو على رأس جبل، وقالوا ذلك أجود لزيتها (١٤).

الثاني: أن المراد أنها وسط الشجر لا تصيبها الشمس إذا أشرقت ولا إذا غربت، فهي: ﴿لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ (١٥). وقد رجح ابن كثير القول الأول حيث قال: "وأولى هذه الأقوال القول الأول

٩- المفردات في غريب القرآن، ص ٢١١.

١٠- سورة الصافات، الآية: ٦.

١١- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار التراث، القاهرة، الطبعة الأولى، ج ٣، ص ٢٩٠.

١٢- سورة النور، الآية: ٣٥.

١٣- جامع البيان، ج ٩، ص ٣٢٨، وتفسير القرآن العظيم، ج ٣، ص ٢٩١.

١٤- تفسير القرآن العظيم، ج ٣، ص ٢٩١.

١٥- جامع البيان، ج ٩، ص ٣٢٧، وتفسير القرآن العظيم، ج ٣، ص ٢٩١.

وهو أنها في مستوى من الأرض في مكان فسيح باد ظاهر ضاح للشمس تفرعه من أول النهار إلى آخره ليكون ذلك أصفى لزيتهما وألطف" (١٦). وقبله رجح هذا القول ابن جرير رحمه الله (١٧).

وقوله سبحانه: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يَضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾. قال ابن جرير: "يقول تعالى ذكره: يكاد زيت هذه الزيتون يضيء من صفائه، وحسن ضيائه ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ يقول: فكيف إذا مسته نار" (١٨). وهذا الوصف يدل على أن الزيت من صفائه وحسنه يشرق ويتنور من انعكاس ضوء المصباح أو غيره عليه.

#### خامساً: النور المنبعث من المصباح:

نور المصباح في المشبه به هو المعنى المعتبر في التشبيه، وكل ما ورد في أوصاف الممثل به إنما المراد به إيضاح طبيعة النور المنبعث من هذا المصباح الموصوف. قال سبحانه وتعالى في بداية المثل: ﴿مَثَلُ نُورٍ﴾ كَشَكُوفٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ. والمراد تشبيه نور الله في قلب المؤمن بنور حاصل في مشكاة فيها مصباح. وقال بعد ما أتم أوصاف المصباح: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾. أي: نور نار المصباح ونور الزيت (١٩). والمعنى أن المشبه به هو نور كائن على نور.

ويمكن استخلاص أهم صفات النور مما ذكر من هيئة المشبه به، ومما يعرف من طبيعته، فيما يلي:

- ١- أنه نور ناتج عن إيقاد المصباح، وإيقاده تم من غيره، وهو قابل للانطفاء.
- ٢- أنه متأثر بالوقود - الزيت - من جهة صفاء النور وإشراقه لجودة الزيت، ومن جهة زيادة النور أو نقصانه لنقص الزيت. والمصباح المشبه به وقوده من أحسن الوقود، فنوره كأحسن ما يكون إشراقاً وإنارة وصفاء.
- ٣- أن المصباح محفوظ بزجاجة تحميه من تلاعب الرياح باللهب مما يؤدي إلى اضطراب النور أو انطفائه، فهو نور ثابت متنام. كما أن الزجاجة تسهم في تفرق الضوء وانتشاره خارجها، ويتلألاً ويزهر عليها.

١٦- تفسير القرآن العظيم، ج ٣، ص ٢٩١.

١٧- جامع البيان، ج ٩، ص ٣٢٨.

١٨- المرجع السابق، ج ٩، ص ٣٢٨.

١٩- المرجع السابق، ج ٩، ص ٣٢٨.

### المطلب الثالث: بيان الممثل له:

هذا المثل ضرب لبيان النور المضاف إلى الله عز وجل في قوله سبحانه وتعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِ

كَمِشْكُوفَةٍ﴾. وفي المراد بالضمير "الهاء" في قوله: ﴿نُورِهِ﴾ ثلاثة أقوال للمفسرين هي:

- ١- أنه عائد إلى الله عز وجل، أي: مثل هداه في قلب المؤمن.
- ٢- أن الضمير عائد إلى المؤمن، أي: مثل نور المؤمن الذي في قلبه كمشكاة.
- ٣- أنه عائد إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

وقد رجّح ابن جرير رحمه الله عود الضمير إلى الله عز وجل حيث قال: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: ذلك مثل ضربه الله للقرآن في قلوب أهل الإيمان به، فقال: مثل نور الله الذي أنار به لعباده سبيل الرشاد، الذي أنزله إليهم فأمنوا به، وصدقوا بما فيه في قلوب المؤمنين، مثل مشكاة" (٢٠). ويبيّن ابن القيم رحمه الله أن عود الضمير إلى الله عز وجل يدل عليه السياق.

المراد بالنورين في قوله: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾:

تكاد تتفق التفاسير المأثورة عن السلف على أن المراد بأحد النورين هو القرآن الكريم وما دل عليه من العلم والعمل (٢١). ثم اختلفوا في تحديد النور الثاني على ثلاثة أقوال: القول الأول: أن النور الثاني هو نور الإيمان في قلب المؤمن. وهو القول الذي تدور عليه أكثر أقوال السلف (٢٢). ورجحه ابن تيمية رحمه الله وغيره (٢٣).

القول الثاني: أن النور الثاني هو نور الفطرة أي فطر عليه قلب المؤمن من الهدى. ذكره ابن كثير رحمه الله (٢٤). وهذا في حقيقته عائد إلى القول الأول؛ لأن المراد هو ما فطر عليه قلب المؤمن، وليس أي قلب. وقلب المؤمن باقٍ على أصل الفطرة، على الدين الحنيف، وزاد الإيمان هذه الفطرة رسوخاً واستحكاماً. فهو عائد إلى نور الإيمان وما يستلزمه من الفطرة السليمة.

٢٠- جامع البيان، ج ٩، ص ٣٢١، وتفسير القرآن العظيم، ج ٣، ص ٢٩٠.

٢١- جامع البيان، ج ٩، ص ٣٢١-٣٢٢، ٣٢٨، وتفسير القرآن العظيم، ج ٣، ص ٢٩٠.

٢٢- جامع البيان، ج ٩، ص ٣٢٥، ٣٢٨، وتفسير القرآن العظيم، ج ٣، ص ٢٩٠، ٢٩١. وشيخ الإسلام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم، الناشر: رئاسة الحرمين الشريفين، ١٤٠٤هـ، ج ١٠، ص ٤٧٥.

٢٣- مجموع الفتاوى، ج ١٠، ص ٤٧٥.

٢٤- تفسير القرآن العظيم، ج ٣، ص ٢٩٠.

- القول الثالث: أن النور الثاني هو الحجج والبراهين الكونية التي نصبها الله لعباده، ورجح هذا ابن جرير رحمه الله، لكنه لم يذكر أن أحدا من السلف قال به (٢٥). وهذا القول فيه نظر؛ وذلك أن تفسير النور الثاني الذي يعطاه المؤمن بالحجج والبراهين الكونية لا يستقيم للاعتبارات الآتية:
- ١- أن النور كائن في القلب. كما نص على ذلك كثير من علماء السلف ومن بعدهم من العلماء والمفسرين - ومنهم ابن جرير - والآيات الكونية خارج القلب.
  - ٢- أن النور الممثل له جعله الله للمؤمن، والآيات الكونية منصوبة للمؤمن وغيره.
  - ٣- إذا كان المراد هي: الحجج والبراهين والعبر المستخلصة بالنظر، فهذه ثمرة التفكير الذي لا يكون صحيحاً مسدداً إلا بالنور، فهي نتيجة النور وليست من ماهيته.
  - ٤- أنه لا يوجد في النصوص ما يدل على أن الآيات والحجج الكونية نور، ولم يؤثر عن أحد من السلف أنه قال بذلك.

وابن جرير الذي ذكر ذلك لم يذكر أن أحداً من السلف قال به، ولكن وردت النصوص بتسمية العلم نورا، والإيمان نورا، والرسول صلى الله عليه وسلم الذي يعلم العلم ويدعو إلى الإيمان نورا. وعلى ضوء ما تقدم يتحصل أن المراد بالنورين في قوله تعالى: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ هما: نور العلم الواصل للقلب من هداية الكتاب والسنة، وهو يقابل نور الزيت. ونور الإيمان الذي يقذفه الله في قلب المؤمن، وهو يقابل نور شعلة المصباح. إن تفسير النورين في قوله تعالى: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ بنور الإيمان ونور العلم يؤديه ما ورد من إطلاق لفظ النور عليهما في نصوص أخرى. وهذا مع ما دل عليه الاعتبار بالمثل يدل على صواب من رجح تفسيرهما بذلك.

فما ورد من إطلاق النور على ما أنزله الله على أنبيائه من الكتاب والحكمة المتضمنة للعلم، قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ (٢٦). وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ (٢٧). وقوله: ﴿فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾ (٢٨). وقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ

٢٥- جامع البيان، ج ٩، ص ٣٢٨ ومحمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ، ج ٢، ص ٣٤١

والشريف منصور بن عون العبدلي، الأمثال في القرآن الكريم، عالم المعرفة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، ص ٨٠.

٢٦- سورة المائدة، الآية: ١٥.

٢٧- سورة المائدة، الآية: ٤٤.

٢٨- سورة التغابن، الآية: ٨.

جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿٢٩﴾ ونحوها.

ومما ورد من إطلاق النور على ما يجعله الله للعباد من الإيمان القائم على العلم قوله تعالى:  
﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ (٣٠). وقوله: ﴿وَمَن كَانَ مِيثًا فَاحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ (٣١). وقوله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِّن رَّحْمَتِهِ وَجَعَلَ لَكُم نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَعْرِفَ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٣٢) ونحوها. وجمع الله بينهما بقوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِّنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (٣٣).

وخلاصة القول في تحديد الممثل له: من التأمل في المعطيات المتقدمة، الاستفادة من صورة الممثل به، والنظر في أقوال أهل العلم، وما يؤيدها من النصوص، نخلص إلى أن الممثل له هو النور المركب من: نور العلم والإيمان الذي جعله في قلب المؤمن.

المطلب الرابع: تحديد ما يقابل أجزاء الممثل به:

تبيّن من دراسة الأصل الممثل به أنه يتكون من أربعة أجزاء رئيسية هي:

- ١- المشكاة. ٢- المصباح. ٣- الزجاجية المحيطة بالمصباح. ٤- الزيت الذي يوقد منه المصباح.
- وقد تقدم بيان ما يقابل النور في المطلب السابق، وفي هذا المطلب يجري التعرف على ما يقابل الأجزاء الأخرى في محل النور القابل له، وذلك من أقوال علماء السلف والمفسرين، والمناسبة المعقولة بين المتقابلات، وذلك يكون في الفقرات الآتية:
- أولاً: المشكاة:

تقدم في الكلام على الممثل به أن المشكاة هي التجويف الذي يكون في الجدار يوضع فيه المصباح، "ووجه تخصيص المشكاة أنها أجمع للضوء الذي يكون فيه من مصباح أو غيره" (٣٤). وتبين من

٢٩- سورة النساء، الآية: ١٧٤.

٣٠- سورة الزمر، الآية: ٢٢.

٣١- سورة الأنعام، الآية: ١٢٢.

٣٢- سورة الحديد، الآية: ٢٨.

٣٣- سورة الشورى، الآية: ٥٢.

٣٤- محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، شركة مصطفى الباي، مصر، ط ٢، ١٣٨٣هـ، ج ٤، ص ٣٢.



المطلب السابق أن الممثل له هو: نور العلم والإيمان في قلب المؤمن. أما المشكاة فقد فسرها بعض أهل العلم بقلب المؤمن<sup>(٣٥)</sup>، وبعضهم فسرها بصدره<sup>(٣٦)</sup> والأقرب إلى الاعتبار - والله أعلم - مقابلة المشكاة بقلب المؤمن، وذلك للاعتبارات الآتية:

- ١- أنه بدأ بذكر المشكاة في قوله: ﴿كَمْشَكُورٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ لتحديد مكان النور وهو القلب.
  - ٢- أن تجويف القلب يناسب تجويف المشكاة، ويكون المراد شدة استنارة القلب بهذا النور بما يستفاد من استجماع الضوء في المشكاة لقربها من المصباح وصغر حجمها، فتكون إنارتها أكمل.
  - ٣- أن البصيرة وأعمال القلوب ووظيفة التفكير هي في القلب، فوجود النور فيه ينعكس على هذه الوظائف فيكشف لها مواطن الرشد والفلاح وضدها من سبل الضلال والهلاك.
- ولذلك: إذا استنار القلب استنارت وظائفه وما يقوم به من أعمال القلوب وانعكس ذلك على سائر أعماله الظاهرة والباطنة كما يدل عليه عموم قوله صلى الله عليه وسلم: "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب".

أما الصدر خارج القلب فلم يثبت أنه محل لأي وظيفة إيمانية، فلا يكون للنور أثر فيه ولا يكون في ذكره في المثل فائدة؛ إذا المراد بيان أثر النور على قلب المؤمن وما فيه من الوظائف والأعمال، والتي ينعكس أثرها على أعماله الظاهرة وجميع أحواله فوجب مقابلة جميع أجزاء المثل بما يقوم بالقلب. والمتبع للآيات التي ورد فيها إسناد شيء من الوظائف الإنسانية أو الإيمانية إلى الصدر يجد أن المفسرين يرجعونها إلى ما في القلب. ومن أمثلة ذلك قول الله تعالى: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾<sup>(٣٧)</sup>. قال ابن جرير رحمه الله: "يقول: ويرى داء صدور قوم مؤمنين بالله ورسوله، يقتل هؤلاء المشركين بأيديهم، وإذلالكم وقهركم إياهم، وذلك الداء هو ما كان في قلوبهم عليهم من الموجدة بما كانوا ينالونهم من الأذى والمكروه"<sup>(٣٨)</sup>. وقول الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾<sup>(٣٩)</sup>. أي: مجموع

٣٥- انظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص ٢٦٦ "مادة: شكا".

٣٦- انظر: جامع البيان، ج ٩، ص ٣٣، وابن قيم الجوزية، اجتماع الجيوش الإسلامية، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ص ٧.

٣٧- سورة التوبة، الآية: ١٤.

٣٨- جامع البيان، ج ٦، ص ٣٣٢.

٣٩- سورة العنكبوت، الآية: ٤٩.

مثبت في قلوب أهل العلم؛ كما قال الله في حق نبيّه صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (٤٠) حيث فسرها بعض أهل العلم بقولهم: "إن علينا أن نجعله لك حتى نشبته في قلبك" (٤١). وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ (٤٢) قال ابن جرير رحمه الله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ﴾: يا محمد، للهدى والإيمان بالله ومعرفة الحق ﴿صَدْرَكَ﴾ فنلين لك قلبك، ونجعله وعاء للحكمة" (٤٣). وليس المقصود الاستقصاء، وإنما إيراد نماذج تبين أن المفسرين يرجعون معنى الصدر في كثير من الآيات إلى ما يقوم في القلب من الوظائف النفسية والأعمال القلبية. وعلى هذا يكون تفسير المشكاة بالقلب أولى من تفسيرها بالصدر، وهو شامل لما يراد بلفظ الصدر من الأعمال والوظائف.

#### ثانياً: الزجاجة:

قدمت الكلام على ما يقابل الزجاجة قبل الكلام على ما يقابل المصباح، لمناسبة ما ذكر في الكلام على المشكاة - من العلاقة بين القلب والصدر - لتحديد ما يقابل الزجاجة. وذلك أن من قابل المشكاة بالقلب، قابل الزجاجة بالصدر. وقد تقدم - عند الكلام على ما يقابل المشكاة - تقرير أمرين:

الأول: أن الصدر خارج القلب غير معتبر في المثل؛ لأنه لا يقوم به وظائف نفسية أو إيمانية.

الثاني: أن إطلاق لفظ الصدر في النصوص الشرعية وكلام أهل العلم، يراد به ما يقوم في القلب من أعماله ووظائفه.

وبناء على ما تقدم يكون ما يقابل الزجاجة هو صدر المؤمن، وصدر المؤمن يراد به ما يقوم في القلب من الوظائف والأعمال كالمعتقدات والنيات والعواطف والانفعالات... ونحوها. ولا يراد بالصدر ما كان خارج القلب من التجويف المحيط به. وقد ورد عن ابن جرير رحمه الله ترجيح مقابلة الزجاجة بالصدر مع تفسير الصدر بالأعمال الإيمانية التي تقوم بالقلب. فمن ذلك قوله: "ثم مثل الصدر في خلوصه من الكفر بالله، والشك فيه واستنارته بنور القرآن واستضاءته بآيات ربه المبينات، ومواعظه فيها بالكوكب الدرّي، فقال: ﴿الزُّجَاجَةُ﴾ - وذلك صدر المؤمن الذي فيه قلبه - ﴿كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ (٤٤).

٤٠- سورة القيامة، الآية: ١٧.

٤١- انظر: جامع البيان، ج ١٢، ص ٣٤٠، الأثر رقم ٣٥٣٦ وما بعده.

٤٢- سورة الشرح، الآية: ١.

٤٣- جامع البيان، ج ١٢، ص ٦٢٦.

٤٤- جامع البيان، ج ٩، ص ٣٢٥.

### ثالثاً: المصباح ووقوده:

المصباح - كما تقدم في بيان الممثل به - يتكون من:

- ١- فتيلة قابلة لسريان الزيت واشتعاله عليها. ٢- الزيت الذي يوقد منه. ٣- شعلة متقدمة مضيئة. فهذه ثلاثة أجزاء في المصباح يقابلها ثلاثة أمور في القلب. وقد تقدم في المطلب السابق أن:
- ١- الزيت الذي هو وقود المصباح يقابله العلم بما نزل من الوحي. وكلاهما نور يكاد يضيء قبل أن يضاء.
- ٢- شعلة المصباح تقابل نور الإيمان الذي يجعله الله في قلب عبده. وكلاهما نور مضيء مزهر. وبقي أن نعرف ما يقابل الجزء الثالث وهو الفتيلة. لم أفق على نص على تحديد ما يقابل الفتيلة في الممثل له، إلا أن الأقرب - والله أعلم - أنها تقابل الفطرة؛ وذلك للاعتبارات الآتية:
- ١- ورد عن بعض العلماء ما يفيد أن الفطرة معتبرة في المثل من ذلك قول ابن كثير رحمه الله: "فشبه قلب المؤمن وما هو مفطور عليه من الهدى وما يتلقاه من القرآن المطابق لما هو مفطور عليه" (٤٥).
- ٢- ومن ذلك قول ابن القيم رحمه الله: "والنور على النور نور الفطرة الصحيحة والإدراك الصحيح، ونور الوحي والكتاب، فينضاف أحد النورين إلى الآخر فيزداد العبد نوراً على نور" (٤٦).
- ٣- التشابه بين دور الفطرة في القلب، ودور الفتيلة في المصباح. وذلك أن الفتيلة يراعى فيها عند صنع المصباح أن تكون ملائمة من حيث قابليتها لسريان الزيت فيها، واشتعالها به، ولكونها من جهة قد يطرأ عليها ما يفسدها أو يمنع من اتقادها، وهي بذلك تشبه الفطرة، حيث إن الفطرة في عمومها هي: أن القلب بأصل خلقه قابل مهياً لمعرفة الحق وقبوله وإرادة الخير، وقد يطرأ عليها ما يفسدها ويمنع من قبولها للحق.

### العلاقة بين الفطرة على الحق ووظيفة التعقل:

إن من الفطرة ما أودعه الله في قلوب الناس من القدرة على التعقل والتفكير التي هي آلة القلب ووظيفته. ومن الفطرة أيضاً ما أودعه الله في القلوب من القوة على معرفة الحق. وبين هذين الأمرين وجوه اتفاق، ووجوه اختلاف، أما وجوه الاتفاق فهي، أولاً: أن كلا منهما مودع في القلب خلقته. وثانياً: أن دور كل منهما هو: التعرف على ما يؤديه البصر والسمع والفكر.

٤٥- تفسير القرآن العظيم، ج ٣، ص ٢٩٠.

٤٦- ابن قيم الجوزية، اجتماع الجيوش الإسلامية، ص ٨.

وأما الفارق بينهما فهو أمران، أولاً: أن المعارف المودعة في الفطرة أوجدت فيها بأصل الخلقة،  
وأما المعارف المستفادة بوظيفة التعقل فهي مكتسبة. وثانياً: أن ما أودع في الفطرة من المعرفة لا يكون  
إلا حقاً، وقد تصرف عنه. أما ما يكتسب بالتعقل فقد يكون حقاً، أو خلافه حسب نور القلب وبصيرته.  
فالقدر المشترك بين ما فطر عليه القلب من معرفة الحق، وبين وظيفة التعقل: أن كلا منهما قوة للمعرفة.  
قال الراغب الأصفهاني: "وفطرة الله هي ما ركز فيه من قوته على معرفة الإيمان" (٤٧).

وهذا يؤكد وجود علاقة بينهما، هذه العلاقة هي: أن ما ركز في قلوب العباد من القوة على معرفة  
الحق، هو الأصل لوظيفة التعقل في قلوب المؤمنين المنورة المبصرة. أما قلوب الكفار فهي مظلمة قد  
حرفت فطرهم وبدلت وانصرفوا عن إفادتها للحق وفسد تعقلهم. ومما يؤكد هذه العلاقة بين ما فطر  
الناس عليه من القوة على معرفة الحق وبين وظيفة التعقل، التشابه بين دوريهما في القلب، وذلك أن  
القدر المشترك بين دوريهما هو: أن كلا منهما واسطة لإدراك الدلائل الخارجية الواصلة من السمع والبصر  
إلى القلب. وهو دور يشبه دور الفتيلة التي توصل بين الزيت وشعلة المصباح. وقد أشار شيخ الإسلام  
ابن تيمية رحمه الله إلى أن الفطرة أصل للتعقل والنظر، حيث قال: "البرهان الذي ينال بالنظر فيه العلم  
لا بد أن تنتهي إلى مقدمات ضرورية فطرية" (٤٨). وبناء على هذا فإن الأقرب - والله أعلم - مقابلة فتيلة  
المصباح بتعقل المؤمن القائم على الفطرة السليمة.

المبحث الثالث: الغرض من ضرب المثل وأهميته:

مما تقدم من دراسة المثل الذي ضربه الله لنوره في قوله عز وجل: ﴿مَثَلُ نُورٍ كَمِثْلِ نُورٍ كَمِثْلِ نُورٍ فِيهَا  
مِصْبَاحٌ...﴾ (٤٩) يتبين أن المثل ضرب لبيان حقيقتين هامتين بهما تحصل هداية العباد وتمام تلك الهداية  
واستمرارها، وهما:

الحقيقة الأولى: أن الهداية والتوفيق للإيمان يكون بفعل الله حيث يشرح صدر عبده الذي اقتضت حكمته  
أن يهدي فيقذف سبحانه النور في قلبه، وهو نور حقيقي يجعله الله في قلبه هو نور الإيمان. وهو  
المشبه - في المثل بنور الإيمان - وهو النور الأول من النورين اللذين اجتماعاً في قلب المؤمن

٤٧- الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص ٣٨٢.

٤٨- ابن تيمية، درة تعارض العقل والنقل، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى،  
١٤٠٢هـ، ج ٣، ص ٣٠٩.

٤٩- سورة النور، الآية: ٣٥.

والمشار إليهما بقوله: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ (٥٠). وهذا النور هو أساس الهداية وباديتها، ولا سبيل إليه إلا بخلق الله وإيجاده كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ (٥١). الحقيقة الثانية: أن سبب الهداية يكون من العبد عندما ينبى لما نزل من الوحي ويستفيد مما أعطاه الله من الفطرة على الحق، ويستجيب لما تستدعيه من العلم الموافق لها. فتعلم العلم وقبول القلب له نور، وهو النور الثاني المشار إليهما بقوله: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾. ويستخلص من ذلك حقيقة ثالثة هي: أن تعلم العلم الشرعي لازم لتمام الهداية واستكمالها، وذلك أنه كلما تعلم العلم من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأذعن له تصديقا وعملا زاد إيمانه ونوره.

#### أهمية المثل:

إن أهمية المثل تكمن في الأغراض التي يحققها، حيث يبين المثل العديد من المطالب التي توضح مصدر الهداية وطريقها، وأسباب زيادتها، وأثرها على من هداهم الله واصطفاهم لنوره، وهذه مطالب هامة جدا. قال ابن العربي رحمه الله في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِ...﴾ "وهذه آية من التوحيد كريمة، وعلى مرتبة في العلم عظيمة، ضربها الله مثلا للعلم والإيمان" (٥٢). والمثل بصورته المحسوسة يتفق في الدلالة على تلك المطالب الهامة مع كثير من الآيات، فهو من تصريف القول الذي تختلف فيه الأساليب وتتفق المعاني. وإن المرء ليعجب عندما يرى الآيات الكثيرة والأمثال المضروبة، المتظافرة على بيان تلك المطالب، ثم يرى - من ينتسب إلى الإسلام - من يجرد عن مدلولها ويتطلب الهدى في غير ما أنزل الله، ولا يجد ما يعبر به عن ذلك أصدق من قول الله تعالى: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْأَيْدِي تَمَرَهُمْ يَصَدِفُونَ﴾ (٥٣).

#### المبحث الرابع: أهم فوائد مثل النور:

لقد تضمن مثل النور فوائد وموازين هامة تتعلق بأصل الهداية وباديتها، ومادة استمرارها ورسوخها.

قال ابن القيم رحمه الله: "وهذا التشبيه العجيب الذي تضمنته الآية فيه من الأسرار والمعاني

٥٠ - سورة النور، الآية: ٣٥.

٥١ - سورة النور، الآية: ٤٠.

٥٢ - أبوبكر بن العربي، قانون التأويل، دار القبلة للثقافة، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ ص ٤٧٥.

٥٣ - سورة الأنعام، الآية: ٤٦.

وإظهار تمام نعمته على عبده المؤمن بما أناله من نوره ما تقرّ به عيون أهله وتبتهج به قلوبهم" (٥٤). وأهم الفوائد التي سيجري الكلام عليها هي:

الفائدة الأولى: دلالة المثل على أن الهداية والإيمان والنور من الله تعالى، وأن سببه من الإنسان.

الفائدة الثانية: دل المثل على أن للإيمان والعلم نوراً حقيقياً في قلوب المؤمنين.

الفائدة الثالثة: في مناسبة التعقيب على المثل بقوله: ﴿ فِي مَيُوتِ أَدْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ... ﴾ الآية.

الفائدة الرابعة: دلالة المثل على إعداد الله للإنسان بالفطرة السليمة واستدعائها لنور الإيمان.

الفائدة الخامسة: أثر نور العلم والإيمان في سلامة القلب ووظائفه.

الفائدة السادسة: أن مثل النور ميزان توزن به المناهج الحادثة في تعيين طريق تحصيل العلوم في المطالب الدينية. وإليك بيان هذه الفوائد. والله المستعان.

#### الفائدة الأولى:

دلالة المثل على أن النور والهداية للإيمان من الله تعالى، وأن سببه من الإنسان. والذي يدل على أن قبول العبد وإنابته لما نزل من الحق وتشربه له هو السبب في هداية الله له، وإيقاد النور في قلبه. قال ابن القيم رحمه الله: "إن ضياء النار يحتاج في دوامه إلى مادة تحمله، وتلك المادة للضياء بمنزلة غذاء الحيوان، وكذلك نور الإيمان يحتاج إلى مادة من العلم النافع والعمل الصالح يقوم بها ويدوم بدوامها، فإذا ذهبت مادة الإيمان طفى كما تطفأ النار بفراغ مادتها" (٥٥). ومعرفة الإنسان لهذه الحقيقة التي دل عليها المثل من أسباب سعادته في الدارين. فإذا عرف أن هدايته تكون بالعلم بالكتاب والسنة والعمل بهما، وأن ذلك هو الطريق الأوضح لمعرفة العلوم والحقائق في المطالب الإلهية والغيبية، والمطالب الشرعية، فقد وضع قدميه على الطريق المستقيم، وكلما سار فيه ازداد بصيرة وعلماً بسبل السلام، واستبانت له الظلمات ومواطن الهلكات، واستقر قدمه على الهدى، وقوي استمساكه بالعروة الوثقى، مما يزيد حظه من ولاية الله، ويمكنه في أسباب السعادة. قال سبحانه مبيناً أن الهداية والسلامة إنما تكون بنور العلم المستقى من الكتاب والسنة: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ

٥٤ - ابن القيم، اجتماع الجيوش الإسلامية، ص ٨.

٥٥ - المرجع السابق، ص ٢٠.

مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾. وقال أيضاً: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيَّةِنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ، وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٥٧). فالخروج من الضلال المبين إلى الهدى المبين إنما يكون بالعلم بالكتاب والحكمة لا بغيره.

وهذا المثل ينطوي عليه من تشبيه بليغ ودلالة قاطعة يؤدي هذا الغرض ويوجب لمن تأمله اليقين بأن لا طريق إلى المعرفة الصحيحة إلا بتعلم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، لذلك قال سبحانه في ختام المثل: ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾. فالناس عامة، وأهل العلم خاصة بحاجة إلى تدبر هذا المثل وفقهه ليتبين لهم الطريق الحق الأوحى لمعرفة الحقائق الإيمانية. وهذه الفائدة المستوحاة من هذا المثل - وهي إخلاص التلقي للأمر الديني والمطالب الغيبية من الوحي المطهر - هي خطوة هامة ومقدمة في واقع المسلمين اليوم في مجال النهوض بهم، والعمل على عودتهم إلى الدين القويم، في مجال النهوض بهم، والعمل على عودتهم إلى الدين القويم، وفي سبيل توحيدهم ورفعتهم، فذلك لا يكون إلا إذا سبقه عملية مراجعة لأحوالهم وأوضاعهم وعرضها على الميزان العلمي الذي جاء به الوحي المطهر، وإخضاع تلك الأحوال والأوضاع الدينية والدينية لحكمه والتخلص مما يخالفه. وبذلك يسعى المسلمون أولاً إلى استجلاب ولاية الله، والله وليهم - إذا جاءوا بشرط الولاية - يحوطهم بعنايته وتوفيقه، ويدافع عنهم ويكفل أسبابهم بالتوفيق، ويكمل نقصهم ويهيئ لهم من أمرهم رشداً.

#### الفائدة الثانية:

دل المثل على أن للإيمان والعلم نوراً حقيقياً في قلوب المؤمنين. وذلك مستفاد من التشبيه نفسه، حيث لا يفهم من تشبيه نور الإيمان والعلم بالمصباح المتقد الذي وقوده زيت جيد إلا حقيقة ذلك النور، وإنما ضرب المثل لبيان حقيقته وما يتعلق به من الأوصاف وما ينتج عنه من الآثار. ولا يجوز أن يقال: إن الله ضرب مثلاً محسوساً لبيان وإيضاح أمر مجازي لا حقيقة له. فالقلب يحى بنور الوحي كما تحى الأرض بالماء، وحياة القلب ونوره أمران وجوديان حقيقيان. وكذلك كل ما نسب إلى القلب من أصداد الحياة والنور: كموت القلب وعماه، والختم والطبع والأقفال... ونحوها فهي على حقيقتها، "ولا تصغ إلى قول من يقول: إن هذه مجازات واستعارات" (٥٨). وليس المراد إذا قيل أن النور في القلب نور حقيقي

٥٦- سورة المائدة، الآيتان: ١٥، ١٦.

٥٧- سورة الجمعة، الآية: ٢.

٥٨- ابن قيم الجوزية، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، دار التراث، القاهرة، ط ١، ص ١٩٥.

أنه كالأنوار المحسوسة، ولا أن العمى الذي يصيب القلب كالعمى الذي يصيب العين ولا أن حياة القلب وموته كحياة البدن وموته. فهذه الألفاظ وإن كانت حقيقة في كل ما تنسب إليه إلا أن الحقائق تختلف باختلاف محالها التي تعلق بها.

قال ابن القيم رحمه الله: "فإن هذه الأمور إذا أضيفت إلى محالها كانت بحسب تلك المحال" (٥٩). وكما دل المثل - كما تقدم - على أن نور القلب حقيقة، إذ لا يضرب المثل لشيء لا حقيقة له، فقد وردت آية واضحة الدلالة قاطعة في إثبات عمى القلوب حقيقة، وهي قول الله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (٦٠). ففي قوله سبحانه وتعالى: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ المراد: أن معظم العمى وأصله هو عمى القلب، ولم يرد سبحانه نفي العمى عن الأبصار، وإنما أراد أن عمى القلوب أولى بهذا الوصف وأحق به لشدة خطره وضرره على صاحبه (٦١). فأكدت هذه الآية أمرين: الأول: حقيقة عمى القلوب وأنه هو الأصل، وأعظم من عمى الأبصار وأخطر. والثاني: أن القلوب التي تعمى هي القلوب المعروفة الكائنة في الصدور. فالقلوب تحيي وتبصر وتموت وتعمى، ونصيبها من ذلك متأثر بما فيها من الإيمان والعلم قوة وضعفا. كما أنها قد تكون عوراء وذلك إذا خلط العلم المستمد من الكتاب والسنة بغيره، فيرى الحق بما معه من نور الكتاب والسنة، ويقع في ضلالات بسبب تلك الظلمة التي نتجت عن العلوم الدخيلة. ومثله في المصباح: إذا خلط الوقود الجيد بوقود رديء؛ فإنه يضعف نوره وينبعث منه دخان يلطخ باطن الزجاج، وكلما زاد قوة الرديء زاد الدخان حتى يظلمها.

#### الفائدة الثالثة:

مناسبة التعقيب على المثل بقوله تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ (٣٦) ﴿ جَالٌ لَا نُلْهِهِمْ فِتْرَةً وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَابِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يُخَافُونَ يَوْمًا نُنْقَلِبُ فِيهِ الْقُلُوبَ وَالْأَبْصَارَ ﴾ (٣٧) ﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٦٢). اختلف المفسرون وأهل اللغة في قوله تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ... ﴾ اختلافا واسعا، ومرد

٥٩- نفس المرجع.

٦٠- سورة الحج، الآية: ٤٦.

٦١- ابن قيم الجوزية، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ص ١٩٥.

٦٢- سورة النور، الآيات: ٣٦-٣٨.



أقولهم إلى أمرين، الأول: أن المراد المصاييح المشبه بها وهي المصاييح المحسوسة التي توقد بالزيت. ويكون المعنى كما قال ابن جرير رحمه الله: "يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ... فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾ والبيوت هي المساجد" (٦٣). وعلى هذا القول أكثر المفسرين (٦٤). والثاني: أن المراد أن المصاييح المشبهة بالمشكاة - مصاييح الإيوان قلوب عباد الرحمن التي تضاء بالعلم المستقى من الوحي - كائنة في بيوت... وقد أشار إلى هذا بعض المفسرين حيث قال: "ولما كان نور الإيوان والقرآن أكثر وقوع أسبابه في المساجد ذكرها منوها بها، فقال: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ﴾" (٦٥). ويكون التقدير على هذا القول: مثل نوره في قلوب المؤمنين حال كونهم ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ...﴾ الآية كمشكاة فيها مصباح. وهذا القول ليس ببعيد عن القول الأول؛ وذلك أن كلا القولين يشتركان في تعلق البيوت بالمصاييح، أي: مثل نوره كمشكاة فيها مصباح... في بيوت أذن الله أن ترفع. والفرق بينهما أن القائلين بالقول الأول أرادوا المصاييح الحسية الممثل بها. وفي القول الثاني المراد: المصاييح الممثل لها، القائمة في قلوب المؤمنين.

والقول الثاني هو الأنسب للسياق - والله أعلم - وذلك للاعتبارات الآتية:

- ١- أن تخصيص المشبه به - وهي المصاييح المحسوسة - بالمساجد لا يفيد شيئاً في إيضاح المثل حيث أن نور المصاييح في المساجد وغيرها واحد. أما تخصيص المشبه - وهو نور الإيوان والعلم - بكونه في المساجد فإنه يفيد زيادة معنى، وذلك أن الإيوان يزيد بالطاعة وخاصة الفرائض.
- ٢- أن المصاييح المحسوسة ليست مختصة بالمساجد بل توضع فيها وفي غيرها. أما مصاييح الإيوان فإن من قامت بهم من المؤمنين هم أهل المساجد الذين اختصوا بها وبعمارتها فلا يعمرها غيرهم كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ (٦٦).

٦٣- جامع البيان، ج ٩، ص ٣٢٩.

٦٤- انظر: جامع البيان، ج ٩، ص ٣٢٩، وتفسير القرآن العظيم، ج ٣، ص ٢٩٢، وفتح القدير، ج ٤، ص ٣٤، والتفسير الكبير، ج ٢٤، ص ٢.

٦٥- الشيخ عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الرئاسة العامة، الرياض، ط ١، ١٤٠٤ هـ ج ٥، ص ٤٢٢.

٦٦- سورة التوبة، الآية: ١٨.

٣- أنه ذكر صفات الذين يعمرّون البيوت - التي أذن الله أن ترفع - وذكر قبول أعمالهم مما يدل على أن المراد ذكر أثر نور العلم والإيمان القائم في قلوبهم في صلاح أعمالهم وقبولها. ويكون التقدير: مثل نوره في قلوب المؤمنين الكائنين في بيوت أذن الله كمشكاة.

من فوائد التعقيب على المثل بقوله: ﴿ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ... ﴾:

أولاً: دل ذلك على أن نور العلم والإيمان أكمل ما يكون عند أهله حال كونهم يعبدون الله في المساجد. وذلك عند قيامهم بالأعمال التي تشرع في المساجد من الصلوات وأنواع الذكر وطلب العلم. والصلاة خاصة لها أثر عظيم في قوة نور الإيمان والعلم، وذلك أنها تشتمل على كلا الأمرين المؤثرين في هذا النور، وهما الإيمان والعلم. فالعلم يتجلى بقراءة القرآن الذي أنزله بعلمه، والذي هو النور الذي يمد مصباح الإيمان في القلب. والصلاة إيمان لقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ ﴾ (٦٧) أي: صلاتكم، حيث سمي الصلاة إيمانا (٦٨). ولذلك سمي النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة نورا، حيث قال: "الطهور شرط الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن - أو تملأ - ما بين السماوات والأرض، والصلاة نور والصدقة برهان، والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو، فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها" (٦٩). ويتحقق ذلك أيضاً - كمال النور - في كل عمل يشتمل على هذين الأمرين أن يكون من شعب الإيمان، ويشتمل على العلم، كحلق الذكر والعلم.

قال صلى الله عليه وسلم: "... ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهّل الله له به طريقا إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عندهم، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه" (٧٠). ويدل على زيادة الإيمان والنور بهذه الأعمال حديث حنظلة رضي الله عنه فيه قال: قلت: نافق حنظلة يا رسول الله! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وما ذاك؟" قلت: يا رسول الله! نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأننا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك نأفنا الأزواج والأولاد والضيعات، نسينا كثيراً،

٦٧- سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

٦٨- انظر: جامع البيان، تفسير الآية: ١٤٣ من سورة البقرة.

٦٩- صحيح البخاري، الطبعة السلفية، الرياض، كتاب الإيمان، باب الصلاة من الإيمان، ح: ٤٠، الصحيح مع الفتح، ج ١، ص ٩٥، وصحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة رئاسة البحوث العلمية، الرياض، ج ١، ص ٢٠٣، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، ح: ٢٢٣.

٧٠- صحيح مسلم، ج ٤، ص ٢٠٧٤، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، ح: ٢٦٩٩.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده إن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة" ثلاث مرات (٧١). وهذا الحديث يدل على أن المؤمنين يكونون أكمل حالا وإيماناً عندما يكونون مع النبي صلى الله عليه وسلم يعلمهم العلم ويذكرهم بالله.

ثمرة العلم بهذا الأمر:

أن يدرك المسلمون وخاصة من يتصدى للدعوة والتربية والتعليم أن كمال المسلمين وصلاحهم إنما يكون بالعلم الشرعي من الكتاب والسنة ونهج سلف الأمة، وإقامة الدين وشعب الإيمان، ويركزون جهودهم على ذلك، ويجعلون الخطوة المقدمة في عملهم، وبذلك تصلح حال المسلمين ويقوى نورهم وبصيرتهم، ويلهمون الرشد والسداد في أعمالهم ويستحقون ولاية الله عز وجل.

ثانياً: ومما يستفاد من التعقيب بقوله: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ... ﴾ هي: اهتداء المؤمنين بهذا النور، وأنه كشف لهم مواطن الخير وأسباب السلامة، والربح الحقيقي والأعمال النافعة. دل على ذلك قوله عز وجل: ﴿ يُسَيِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۗ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَا لُئْلِيهِمْ تِحْرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ فهؤلاء الرجال الذين أثنى الله عليهم لقوة بصائرهم لا ينشغلون بالبيع والتجارة - مع أهميتها لحياتهم وحبهم لها - عن مهمات دينهم وفرائض ربهم. رأى رضي الله عنه قوماً من أهل السوق حيث نودي بالصلاة، وتركوا بياعاتهم، ونهضوا إلى الصلاة، فقال عبد الله: "هؤلاء من الذين ذكر الله في كتابه ﴿ رِجَالٌ لَا لُئْلِيهِمْ تِحْرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ (٧٢).

ثالثاً: دل التعقيب على مثل النور بقوله: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ... ﴾ الآية، على أن المحافظة على الصلاة مع الجماعة دليل على قوة الإيمان وصلاح القلب، وقوة نور العبد وبصيرته. وإذا تهاون بصلاة الجماعة كان ذلك دليلاً على ضعف في إيمانه وفي نور قلبه، وإذا وصل التهاون إلى الصلاة نفسها دل على اختلال الإيمان وظلمة القلب، حتى يصل إلى الكفر وموت القلب وعماه إذا تركها. وكذلك الحال في أداء الزكاة وملازمة ذكر الله، وغيرها من شعب الإيمان؛ فإن العناية بها دليل على قوة الإيمان والبصيرة، والغفلة عنها والتهاون بها دليل على ضعف الإيمان ونور القلب.

٧١- المرجع السابق، ج ٤، ص ٢١٠٦، كتاب التوبة، باب فضل دوام الذكر، ح: ٢٧٥٠.

٧٢- جامع البيان، ج ٩، ص ٣٣٢.

#### الفائدة الرابعة:

دلالة المثل على إعداد الله الإنسان بالفطرة السليمة واستدعائها لنور الإيمان. ولفظ الفطرة يراد به معاني مختلفة، وهذه المعاني ترجع إلى معنيين: الأول: هو إعطاء المخلوق في أصل خلقه ما يستدعي فعل أو قبول أو ترك شيء. وهذا النوع هو الذي يعبر عنه الراغب في المفردات بقوله: "وفطر الله الخلق: هو إيجاد الشيء وإبداعه على هيئة مترشحة لفعل من الأفعال" (٧٣). والثاني: هو ما ركز في النفوس في أصل خلقها من الوظائف والقوى النفسية، والحاجات الضرورية ونحوها. والفرق بين النوعين: أن الأول هو إعطاء المخلوق الداعي لأمر من الأمور أو الداعي لتركه، والثاني هو إعطاؤه الأمر نفسه ليكون جزءاً من خلقه. ومثال النوع الأول: ما ركز في النفوس ذات الفطرة السليمة من حب النظافة والتجمل وكره الأوساخ والشعث، وهذا يستدعي السواك وقص الأظفار... ونحوها. ومثال النوع الثاني: الإحساس بالجوع، والحاجة إلى الطعام، والتألم لفقدته، والانفعال لطلبه، وصراخ الطفل إذا جاع، أمور فطرية ركزت فيه في أصل الخلقة لا يكتسبها بتعلم ولا بمحاكاة ولا بتفكير. وعلى هذا فكل ما ذكر في النصوص الشرعية من أمور نسبت للفطرة فهي لا تخرج عن هذين المعنيين: فيما أن يكون في النفس الداعي لفعله أو تركه، أو يكون ذلك الأمر مغروساً في النفس من أصل الخلقة. والله - سبحانه - خلق النفوس البشرية وفطرها على أمور: منها ما فطروا عليه وله علاقة بشؤونهم الدنيوية المعيشية. ومنها ما له علاقة بهدایتهم إلى الدين القويم. ومنها أمور ركز في النفوس الداعي إليها فهي فطرية شرعية عقلية. فهذه ثلاثة أنواع تنسب إلى الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

فالأمور الدنيوية المركوزة في الفطر مثل: حب التملك، والميل إلى النافع، والفرار من الضار، والشعور بالجوع... ونحوها، وهي ما يسميه علماء النفس بالغرائز الفطرية، ويستوي فيها سائر البشر، وقد يشترك في بعضها مع الحيوان، وتدخل في عموم قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، ثُمَّ هَدَى﴾ (٧٤). وأما الأمور التي أعطي الناس الداعي إليها: فمنها ما ذكر في الحديث (٧٥) من قصّ الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك والمضمضة، والاستنشاق، وقصّ الأظافر، ونتف الإبط، وحلق العانة، والختان... ونحوها. فهذه الأمور تستحسنها النفوس ذوات الفطرة السليمة، وتميل إليها وتنفر من

٧٣- المفردات في غريب القرآن، ص ٣٨٢.

٧٤- سورة طه، الآية: ٥٠.

٧٥- صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة، ح: ٢٥٧-٢٦١.

ضدها، وهذا معنى كونها من الفطرة؛ إذ النفوس مجبولة على حب النافع الجميل، وترك الضار القبيح. وأما كونها عقلية فإن العقل يدرك حسنها وأهميتها لصحة وجماله. وأما كونها شرعية فلأن الشارع جعل فعلها عبادة. والنوع الثالث مما فطر عليه الناس: هو ما له علاقة بالهداية إلى الإيمان، وقد بيّنها الله بقوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ (٧٦). حيث دلت هذه الآية على عدة أمور هامة لها علاقة بالفطرة:

**الأمر الأول:** أن الله فطر الناس على الدين الحنيف. وهذا مستفاد من قوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ﴾. وتدور تفاسير السلف للفطرة التي فطر الله الناس عليها في هذه الآية على معنيين: الأول أن الفطرة هي الإسلام. قال الإمام البخاري رحمه الله: "والفطرة: الإسلام" (٧٧). وقال به عكرمة ومجاهد رحمهما الله وغيرهما (٧٨). ويستند من قال بذلك إلى ورود لفظ "الدين" في الآية في قوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾، والدين هو الإسلام؛ كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (٧٩). ومن ذلك ورود الفطرة في مقابلة اليهودية والنصرانية والمجوسية مما يدل على أن المراد بها الإسلام، في حديث: "ما من مولود إلا يولد إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء، ثم يقول: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾" (٨٠). والمعنى الثاني في المراد بالفطرة في الآية أنها: "معرفة وتوحيده وأنه لا إله غيره" (٨١). ومستند هذا المعنى هو ذكر لفظ "حنيفاً" في الآية، والحنيف هو الذي استقام على التوحيد والإخلاص، وجانب الشرك؛ قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٨٢).

٧٦- سورة الروم، الآية: ٣٠.

٧٧- صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب: ﴿لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾، الصحيح مع الفتح، ج ٨، ص ٥١٢.

٧٨- جامع البيان، ج ١٠، ص ١٨٣.

٧٩- سورة آل عمران، الآية: ١٩.

٨٠- متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصل عليه، الصحيح مع الفتح، ج ٣، ص ٢١٨، ح: ١٣٥٨. وصحيح مسلم، ج ٤، ص ٢٠٤٧ كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، ح: ٢٦٥٨.

٨١- تفسير القرآن العظيم، ج ٣، ص ٤٣٢.

٨٢- سورة النحل، الآية: ١٢٣.

ومما يستدل به على هذا المعنى ما ورد في الحديث القدسي وفيه: "وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وأنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً" (٨٣).

وأورد ابن جرير رحمه الله ما يؤيد هذا المعنى من قول معاذ بن جبل رضي الله عنه عندما سأله عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "ما قوام هذه الأمة؟ قال معاذ: ثلاث وهن المنجيات: الإخلاص، وهو الفطرة ﴿فَطَرَتَ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ والصلاة وهي الملة، والطاعة وهي العصمة، قال عمر: صدقت" (٨٤). قال ابن القيم رحمه الله: "فقد تبين دلالة الكتاب والسنة والآثار واتفاق السلف على أن الخلق مفطورون على دين الله الذي هو معرفته والإقرار به ومحبته والخضوع له، أن ذلك موجب فطرهم ومقتضاها، يجب حصوله فيها إن لم يحصل ما يعارضه، ويقتضي حصول ضده... وحصول الحنيفية والإخلاص ومعرفة الرب والخضوع له لا يتوقف أصله على غير الفطرة، وإن توقف كماله وتفصيله على غيرها. وبالله التوفيق" (٨٥). وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مبيناً الأمور التي ركزت في النفوس وجلبت عليها في تعقيبه على حديث: "وإني خلقت عبادي حنفاء": "فأخبر أنه خلقهم حنفاء، وذلك يتضمن معرفة الرب ومحبته وتوحيده، فهذه الثلاثة تضمنتها الحنيفية، وهي معنى قول: "لا إله إلا الله" (٨٦). وهذه الأمور التي تضمنتها الفطرة هي أصل التوحيد الذي هو أصل الإسلام، فالفطرة تتضمن أصل التوحيد، وتستلزم مقتضاه وهو الدين وأعمال الإسلام. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في هذا المعنى: "... فلا بد أن يكون في الفطرة محبة الخالق مع الإقرار به. وهذا أصل الحنيفية التي خلق الله خلقه عليها، وهو فطرة الله التي أمر الله بها... فعلم أن الحنيفية من موجبات الفطرة ومقتضياتها، والحب لله والخضوع له والإخلاص له هو أصل أعمال الحنيفية" (٨٧).

وقال أيضاً: "وإذا قيل: إنه ولد على فطرة الإسلام، أو خلق حنيفاً ونحو ذلك، فليس المراد به

٨٣- صحيح مسلم، ج ٤، ص ٢١٩٧، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل

الجنة وأهل النار، ح: ٢٨٦٥.

٨٤- جامع البيان، ج ١٠، ص ١٨٣.

٨٥- شفاء العليل، ص ٦٠٤.

٨٦- مجموع الفتاوى، ج ١٦، ص ٣٤٥.

٨٧- درء تعارض العقل والنقل، ج ٨، ص ٤٥١.

أنه خرج من بطن أمه يعلم هذا الدين ويريده، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾<sup>(٨٨)</sup>، ولكن فطرته مقتضية موجبة لدين الإسلام، لمعرفته ومحبته. فنفس الفطرة تستلزم الإقرار بخالقه ومحبته وإخلاص الدين له. ومما تقدم يتبين أن الله أعان عباده بثلاثة أمور هامة تسهم إذا استجابوا لموجبها في هدايتهم: الأول: إعدادهم بالفطرة المتضمنة لأصل الهداية، والمستلزمة لتفاصيلها. الثاني: إمدادهم بالرسول والكتب المنزلة التي تذكروهم بالفطرة وتدعوهم إلى مقتضاها، وتبين لهم مراد الله عز وجل. الثالث: إمدادهم بالعقل الذي يتفكرون به، والذي يستند في نظره إلى ما أودع في الفطرة من المعطيات الضرورية، وفيما أظهر الله من الآيات الكونية، ويتدبرون به ما أنزل من البينات والهدى. فالفطرة السليمة والنظر الصحيح، يقبلان ما جاء به الأنبياء ويشهدان له ويسكنان إليه ويطمئنان به، فهذه الثلاثة متكاملة في قبول الحق والترقي فيه. والله أعلم.

**الأمر الثاني:** الذي دلت عليه الآية: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ هو أن خلق الناس على الفطرة عام لجميعهم، وذلك سنة جارية لا تتخلف عن أحد من المكلفين. وهذا المعنى مستفاد من قوله تعالى: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ أَلَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾، ويشهد لهذا المعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: "كل إنسان تلده أمه على الفطرة".

#### الفائدة الخامسة:

أثر نور العلم والإيمان في سلامة القلب وعلى وظيفة التعقل. تقدم عند الكلام على تحديد ما يقابل أجزاء الممثل به تقرير أن الزجاجاة تقابل ما يقوم بالقلب من أعماله، بمعنى أن نور الله في قلب المؤمن سرى وسطع على كل أعماله القلبية: من العقائد والعواطف والإرادات والانفعالات، وخاصة وظيفة التعقل، فاكتمسب القلب لذلك البصيرة في تعقله وأعماله. فالقلب محل لأهم وظيفة أكرم الله بها الإنسان وهي التفكير والتعقل الذي هو طريق العلم والهداية بإذن الله. "ونور الهداية الذي يقذفه الله في قلب المؤمن يحدث أثراً عظيماً على وظائف القلب، أهمها توجيه وظيفة التعقل الوجهة الصحيحة حيث يركن إلى الوحي وحده يستقي من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فتبني عقائده على أساس ثابت، وتغذى عواطفه بمعين الخير الصافي، ويخرج ما يضاد ذلك من ظلمات الجاهلية، ويزداد ذلك بازدياد العلم الوارد إلى القلب، فلا يزال الخير إليه واصل، والشر منه نازل حتى يصلح القلب ويستتير فتنبعث الجوارح بالعبودية لله عن علم به وبحقه سبحانه. وهذا المعنى المستفاد من المثل وهو: أن المؤمنين

- الذين أنار الله قلوبهم بنور الإيمان القائم على العلم بما نزل من الكتاب والسنة - هم أفدر الناس وأحقهم بالتعقل الصحيح وأن ذلك من ثمرات ذلك النور القائم في قلوبهم، هذا المعنى ورد في كثير من الآيات نحو قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ...﴾ الآيات (٨٩). ﴿أَمَنْ هُوَ قَنِيئٌ ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٩٠). وقد اشتركت هاتان الآيتان في بيان أمور هامة منها:

- ١- المقايسة بين الذين يعلمون من أنزل الله من الوحي على نبيه صلى الله عليه وسلم وبين الجهال، وبيان عدم استوائهم.
- ٢- بيان أثر العلم على أعمال العالمين، واشتغالهم بالأعمال والصفات التي علموا فضلها وحسن عاقبتها.
- ٣- الإشارة إلى أن هؤلاء - أهل العلم والإيمان - هم أهل العقول الراجحة والنظر السديد والرأي الحصيف.

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّلْعُوتَ أَنْ يَبْدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادَ ۗ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَيْنَاهُمْ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ أُولُو الْأَلْبَابِ ۗ﴾ (٩١). وقوله: ﴿فَأَتَقُوا اللَّهَ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۗ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ۗ﴾ (٩٢). وقد دل هذان السياقان على أمور هامة، منها:

- ١- الشهادة لأهل الإيمان - لا لغيرهم - الذين كفروا بالطاغوت وأنابوا إلى الله بتوحيده، وإخلاص الدين له بأنهم أولوا الألباب، ورد ذلك في الآية الأولى في قوله: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَيْنَاهُمْ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ أُولُو الْأَلْبَابِ ۗ﴾. وفي الآية الثانية: ﴿يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ۗ﴾.
- ٢- أن العقل قادر - عندما يعمل في تدبر آيات الله وما أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم من الوحي الذي هو أحسن القول والحديث - على المقايسة والتمييز بين الحق والباطل والحسن والقيبح، وأن هذه الخاصية تميز بها أهل الإيمان والعلم وبها اكتسبوا الوصف بأنهم أولوا الألباب.

٨٩- سورة الرعد، الآيات: ١٩-٢٢.

٩٠- سورة الزمر، الآية: ٩.

٩١- سورة الزمر، الآيات: ١٧-١٨.

٩٢- سورة الطلاق، الآيات: ١٠-١١.



#### الفائدة السادسة:

أن هذا المثل ميزان توزن به المناهج الحادثة في تعيين طريق تحصيل العلوم في المطالب الدينية. فقد دل المثل عن طريق تشبيه العلم بالزيت على أن العلم المستقى من الكتاب والسنة هو الطريق الأوحى لمعرفة القلب لحقائق الإيمان، وأن بيان جميع عقائد الدين وشعائره وكل ما يتصل به ورد في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. وكذلك في قوله: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ دل على أن نور القرآن والسنة والعلم المستفاد منها يغذي نور الإيمان ويزيده ويقويه. وفي قوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ دليل على أن النورين من الله، نور الإيمان الذي يقذفه الله في القلب، ونور العلم الذي طريقه الوحي، فمن هدي إلى الأول، واهتدى بالثاني فقد أعطاه الله نورا تاما، ومن أخطأ نور الله فليس له من نور بل هو في طريق من طرق الضلالات سائر في الظلمات.

وهذا المعنى الذي دل عليه المثل - وهو أن العلم المستقى من الوحي هو طريق الهداية ومعرفة الحقائق الدينية الشرعية - أمر معلوم من الدين بالضرورة، لم يختلف فيه أحد من الأئمة المعروفين الذين يقتدى بقولهم السائرين على نهج السلف الصالح قديما وحديثا. فالإيمان إنما يكون بتعلم ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم به والاعتصام بالكتاب والسنة والاستمسك بهما ويطلب الحق في جميع المطالب الشرعية منهما، هذا هو نهج السلف الصالح وهو مفتاح الخير وأساس الهداية. لذلك كان الأصل الأول في منهج أهل السنة والجماعة السائرين على نهج السلف الصالح هو: أنهم يتلقون علومهم ومعارفهم في جميع المطالب الدينية في العقيدة والشريعة والأخلاق والآداب والمعاملات من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم على فهم السلف الصالح وهدى الخلفاء الراشدين. وهذا المعنى تظافت على تقريره نصوص الكتاب والسنة، من ذلك قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (٩٣). وقوله: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٩٤). وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ

٩٣ - سورة الإسراء، الآية: ٩.

٩٤ - سورة المائدة، الآية: ١٦.

تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٩٥﴾. وقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٩٦﴾. وقوله: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٩٧﴾. والآيات الدالة على أن الهدى والنور والبيان إنما هو بكتاب الله عز وجل وتعليم الرسول صلى الله عليه وسلم أكثر من أن تحصى.

وأما الأحاديث فمن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته في حجة الوداع يوم عرفة: "وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله" (٩٨). ويشهد لهذا الحديث الحديث الآخر، وفيه قال: "وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به" (٩٩). وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إنه من يعيش منكم فسيري اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة" (١٠٠). فحث النبي صلى الله عليه وسلم على تعلم كتاب الله والعمل به، ثم حث على سنته وسنة الخلفاء الراشدين وحث على التمسك بها مبينا أن ذلك هو أساس الدين وقوامه، والمخرج من الفتن، والمنقذ من الضلالات، وحذر من البدع في الدين والمحدثات مبينا أنها طريق الضلال. ومن أعظم البدع التي حدثت بعده صلى الله عليه وسلم هي التي صرفت الناس عن تلقي العلوم من الوحي المحفوظ، وأوهمتهم بأن هناك طرقا لتحصيل المعارف اليقينية في المطالب الإلهية وغيرها من غير الكتاب والسنة، بل زعموا - وبئس ما زعموا - أن الاقتصار في تحصيلها على الكتاب والسنة قصور لا يوجب لصاحبه معرفة الحقائق.

#### وأهم هذه الطرق الزائغة طريقتان:

١- طريق النظر العقلي الذي اعتمد عليه أهل الكلام، وزعموا أنه هو طريق معرفة الله بل وأسموه

٩٥- سورة الشورى، الآيات: ٥٢-٥٣.

٩٦- سورة النحل، الآية: ٨٩.

٩٧- سورة النحل، الآية: ٦٤.

٩٨- صحيح مسلم، ج ٢، ص ٨٩٠، كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم، ح: ١٢١٨.

٩٩- مسند أحمد بن حنبل، ج ٤، ص ١٢٦، وسنن الترمذي، ج ٥، ص ٤٤، كتاب العلم، باب ما جاء في أخذ السنة،

ح: ٢٦٧٦، وقال: حديث حسن صحيح. ومستدرک الحاكم، ج ١، ص ٩٥، وقال في بعض طرقه: هذا إسناد صحيح على شرطها جميعا ولا أعرف له علة.

١٠٠- صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٨٧٣، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب، ح: ٢٤٠.

"التوحيد" زورا وبهتانا، وهو قائم على المنطق الفلسفي الأرسطي. وبالغ المتأخرون من أهل الكلام حتى جعلوا جميع العلوم من فروع الكلام، وزعموا أن النظر العقلي وما ينتج عنه هو الميزان الذي توزن به الحجج والبراهين، ويميز به بين الصدق والكذب في الأقوال والخير والشر في الأفعال، والحق والباطل في الاعتقادات (١٠١).

٢- طريق الكشف والفيض الذي اعتمد عليه أهل التصوف الغالي، وزعموا أنه هو الطريق لمعرفة كل الحقائق الدينية، وزعموا أنه نوع من الوحي الذي يحصل للقلوب الزكية. قال ابن تيمية رحمه الله: "... هم إذا عرضوا عن الأدلة الشرعية لم يبق معهم إلا طريقان: إما طريق النظر: وهي الأدلة القياسية العقلية، وإما طريق الصوفية العبادية الكشفية، وكل من جرب هاتين الطريقين علم أن ما لا يوافق الكتاب والسنة منهما فيه من التناقض والفساد ما لا يحصىه إلا رب العباد، ولهذا كان من سلك إحداهما إنما يؤول به الأمر إلى الخيرة والشك، إن كان له نوع عقل وتميز، وإن كان جاهلا دخل في الشطح والطامات التي لا يصدق بها إلا أجهل الخلق. فغاية هؤلاء الشك، وهو عدم التصديق بالحق وغاية هؤلاء الشطح، وهو التصديق بالباطل، والأول يشبه حال اليهود، والثاني يشبه حال النصارى" (١٠٢).

ولا شك أن هذين الطريقين من أعظم البدع المضلة؛ إذ هما صد عن سبيل الله وصراف للناس عن العلم الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم الذي هو أصل الهدى والنور ومنع المعارف والعلوم المصلحة للقلوب والأعمال الموجبة لزيادة الإيمان وتحصيل رضى الرحمن؛ قال الله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَيَّ طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَنِيَلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجِرِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَدَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٠٣﴾. قال ابن تيمية رحمه الله بعد أن ذكر الطريقين: "وهذان أصلان للإلحاد" (١٠٤). وذلك أن كل ميل وانحراف وضلال حصل في الأمة فمرده إلى أحد هذين الطريقين فهما أصلان للضلال والإلحاد.

١٠١- محمد بن حزم الأندلسي، التقريب لحد المنطق والمدخل إليه، دار مكتبة الحياة، ص ٦-٧.

١٠٢- درء تعارض العقل والنقل، ج ٥، ص ٣٤٥.

١٠٣- سورة الأنعام، الآيات: ١٥٥-١٥٧.

١٠٤- درء تعارض العقل والنقل، ج ٥، ص ٣٤٨.

## المبحث الخامس: خلاصة دراسة مثل النور:

- بعد هذه المسائرة الطويلة لهذا المثل الهامّ الوارد في سورة النور في قوله تعالى: ﴿مَثَل نُورٍ كَمِشْكُورٍ فِيهَا مَصْبَاحٌ﴾ الآية، والذي استغرق هذا الفصل كاملاً، أخلص إلى النتائج الآتية:
- أولاً:
- 1- أن هذا المثل بين أصولاً هامة تتعلق بحصول الإيمان في القلب وزيادته، وعلاقته ببعضها، وهي:  
فعل الله بالتوفيق للإيمان وقذفه في قلوب عباده الذين شاء هدايتهم، وعلاقة ذلك بالفطرة السليمة حيث شبه فعله سبحانه الذي يشرح به صدر من أراد هدايته للإسلام بإيقاد المصباح، والنور الحاصل من ذلك بنور المصباح، والفتيلة الصالحة تقابلها الفطرة السوية.
  - 2- أثر العلم الواصل للقلب في بناء العقائد الإيمانية في القلب وفي زيادتها وزيادة نور القلب وبصيرته، وحيث شبه العلم بالزيت الذي يمد المصباح بالوقود، وكيف أن زيادته وجودته تؤثر في قوة الإضاءة وصفائها، وكذلك نور القلب يزيد بزيادة العلم المستقى من الوحي المطهر ويصفو بخلوصه من العلوم الدخيلة.
  - 3- أثر هذا النور المركب من العلم والإيمان في سلامة القلب وبصيرته وسلامة عقله، وصلاح جميع أعماله حيث شبهت أعمال القلب واستنارتها بنوره بالزجاجة التي تنعكس عليها الأشعة المصباح فتألقاً عليها، فتنفذ من خلالها إلى الخارج، فتضيء الطريق لصاحب المصباح، فيمضي بالنور في الناس مشياً سديداً رشيداً.
  - 4- أن هذا المثل بين الأصل الأول من أصول أهل السنة والجماعة المتعلق بمنهج التلقي حيث دل على أن العلوم والمعارف المتعلقة بالمطالب الدينية إنما تؤخذ من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وذلك بتشبيه العلم بما نزل من الوحي بالزيت الذي يكاد يضيء ولولم تمسسه نار.
- وقوله: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ حيث أجمع المفسرون على أن أحد النورين هو نور القرآن والعلم؛ وحيث بدأ السياق بقوله: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾. وهذا كله يدل على أن نور الله لا يكمل في القلب إلا إذا غذي بالعلم بالكتاب والسنة.
- ثانياً:
- 1- دل المثل على فوائد هامة:  
دلالة المثل على أن للإيمان والعلم نوراً حقيقياً.
  - 2- دلالة المثل على إعداد الله الإنسان بالفطرة السليمة واستعدادها لنور الإيمان.

٣- دل سياق المثل على أثر النور والبصيرة على أعمال المؤمنين حيث كشف لهم معالي الأمور،  
وصالح الأعمال، ومحاسن الأخلاق، فلازموها، ولم يشتغلوا عنها بما هو دونها من أمور الدنيا،  
وذلك في قوله: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ... ﴾ الآيات.

ثالثاً: أن هذا المثل ميزان توزن به المناهج الحادثة في بيان الطريق لتلقي الحق في المطالب اليقينية  
الدينية، كطريقة المتكلمين الذين زعموا أن الطريق لمعرفة ذلك إنما هي الدلائل العقلية، وليس أدلة  
الكتاب والسنة، وطريقة المتصوفة القائلين بأن الطريق لمعرفة الحق في المطالب إنما هو الكشف والفيض  
دون تعلم أو نظر عقلي، واعتبار المثل يبطل هذه المزاعم الضالة. والله أعلم.

\*\*\*\*